الدور الغربي ومشاريع تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي (مصر نموذجًا)

د. عصام محمد عبد الشافي

كاتب وباحث - دكتوراه في العلوم السياسية

ملخص الدراسة

تبنت الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشـــر من سبتمبر استراتيجية جديدة تجاه العالم الإسلامي، بهدف إحداث تغييرات سياســـية وثقافية جوهرية، تقود إلى إعادة صياغة الإسلام وقيمه بما يتفق والرؤية والمصالح الأمريكية، وإعادة صياغة الشخصية المسلمة وتطويعها بحيث تقبل النموذج الأمريكي في السياسة والاقتصاد ونمط الحياة، واحتواء المسلمين وتوظيفهم ضمن الدائرة المحكمة لحركة المصالح الأمريكية.

ومـــن هنا جاءت الدعوات الغربية، وفي القلـــب منها الدعوات الأمريكية، لتغيير منظومة القيم في العالم الإســـلامي، وهو ما لن يتحقق، في جانب كبير منه، إلا بتغيير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي، والتي تـــرى فيها القوى الغربيـــة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، الداعم الأول لفكـــر الإرهاب والتطرف المعادي للغرب والمضاد للمصالح الغربية.

وركزت دعوات تغيير هذه المناهج على الدول الفاعلة، أو الرئيســـة في منظومة العالم الإســـلامي، وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وباكستان، وإندونيسيا، وخاصة أمام ما تملكه هذه الدول من تأثير سياسي وفكري وديني واسع في محيطاتها الإقليمية، وفي محيطها الإسلامي الواسع.

تسعى هذه الدراسة إلى بيان طبيعة وأبعاد الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي، وموقع التعليم من هذا الاستهداف، خاصة مع تعدد المبادرات الأمريكية التي تؤكد على أهمية التحرك نحو «تطوير التعليم» وفق النظرة الأمريكية.

وتحاول الدراســـة توضيح آثار هذا الاستهداف الغربي على مشـــاريع تطوير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي، مع التركيز على جمهورية مصر العربية، كحالة دراسية.

تقدم الدراســـة في النهاية عددًا من السياســـات والإجراءات التي يمكن من خلالها مجابهة الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإســـلامي، مؤكدة على أن مواجهة التحديات التي تفرضها دعوات تغيير، أو تطوير، التعليم في الدول العربية والإســـلامية، تفرض أهمية استنهاض الأمة نحو التجديد الذاتي النابع مـــن القيم والمفاهيم والثوابت الدينية والحضارية والثقافية، والتأكيد على أن نظم التعليم في الوطن العربي لـــن تتخطى أزماتها إلا باعتماد رؤية ذاتية تتخطى المصالح الخارجية من ناحية، وتتجاوز المصالح القُطرية من ناحية أخرى، وتتبنى رؤية عربية مشـــتركة لإصلاح التعليم، بما يتفـــق والقيم الأصيلة التي تقوم عليها الحضارتان العربية والإسلامية.

الدور الغربي ومشاريع تطوير مناهج التعليم في العالم الإسلامي (مصر نموذجًا)

د. عصام محمد عبد الشافي

كاتب وباحث - دكتوراه في العلوم السياسية

يعد التعليم أحد أبرز الأدوات الفاعلة في تشـــكيل العقل الجمعي لقيم وثقافات الأمم والشعوب، ومن ثَم فقد أخذ ملف التعليم في الدول الإسلامية بُعدًا جديدًا من اهتمام القوى الكبرى، لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من ســـبتمبر ٢٠٠١م، فقد بدأ القادة السياســـيون وواضعو السياسات فى الغرب بإصدار بيانات تؤكد قناعتهم بأن الإســـلام ليس محل اتهام، وأنه قوة إيجابية فى العالم وديانة تدعو للســـلام والتسامح. وصدرت عنهم عدة خطابات تؤكد هذه المعاني.

وجاء هذه التحرك، وفق بعض الباحثين والمفكرين الغربيين، في محاولة لتفادي حركة ارتدادية قد تنبع أصولها من أعمال العنف والعداء الموجهة ضد الأقليات المسلمة فى الدول المختلفة، ودفع الحكومات المسلمة على تقديم الدعم السياسي للجهود التى تبذلها الدول الغربية فيما أسمته «الحرب الدولية على الإرهاب».

وحاول الزعماء الغربيون والحكومات المســـاندة لهم الفصل بين أهداف الإرهابيين والإســـلام، للحيلولة دون تحويل النزاع إلى «صراع بين الديانات»، وتكذيب تفسير الراديكاليين للإسلام، والعمل على دعم التيارات الأكثر اعتدالاً داخل الإسلام.

وفي هذا الســـياق تبنت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية جديدة تجاه العالم الإسلامي، بهدف إحداث تغييرات سياسية وثقافية جوهرية، تقود إلى إعادة صياغة الإسلام وقيمه بما يتفق والرؤية والمصالح الأمريكية، وإعادة صياغة الشخصية المسلمة وتطويعها بحيث تقبل النموذج الأمريكي في السياسة والاقتصاد ونمط الحياة، واحتواء المسلمين وتوظيفهم ضمن الدائرة المحكمة لحركة المصالح الأمريكية.

حيث ترى الولايات المتحدة أن «الإســـلام» -بما يحمله من قيم روحية وحضارية تســـعى لإعادة صياغة الحياة والإنسان- يمثل منافسًـــا قويًا للنموذج الحضاري الليبرالي الرأسمالي، ويسود اعتقاد أمريكي بتفوق نموذجهم الحضاري كنمط فريد ومتفوق وقادر على تلبية حاجات الإنســـان أينما وُجد، كما أن الأمريكيين يمتلكون شعورًا متضخمًا بالرســـالة تجاه العالم، وأن عليهم حمل الآخرين على تبنـــي نموذجهم ونمط حياتهم؛ على اعتبار أنه الأفضل للبشرية.

ويدرك الأمريكيون أن العالم الإسلامي قوة متوقعة بسبب الثورة والموارد الضخمة والنمو السكاني، والانتشار الجغرافي الواســـع، وسيطرة المســـلمين على أهم طرق المواصلات الاستراتيجية في العالم، وبما أن الصراعات الدولية تقوم على الاعتبارات الاســـتراتيجية والمصلحية؛ فإن ذلك يعزز التحرك الأمريكي للســـيطرة على هذه الثروات. ونتيجة لتفاعل هذين العاملين؛ وضع الأمريكيون أنفســـهم في مواجهة مع الإســـلام والمسلمين؛ سعيًا للتغلب على النموذج الحضاري، عن طريق «أمركة الإسلام» و«أمركة حياة المسلمين»، استنادًا إلى القوة الأمريكية

بمفهومها الشـــامل. في ظل استمرار التهديد الفكري والديني القائم للإســـلام، والمســـيطر علـــى العقلية الأمريكية.

وترى الإدارة الأمريكية، أن عليها العمل على تطوير عقائد المســـلمين ومذاهبهم وقناعاتهم؛ ليكونوا أكثر انســـجامًا مع الرؤية والمصالـــح الأمريكية؛ ومن هنا جاءت الدعوات الغربية، وفـــي القلب منها الدعوات الأمريكية، لتغيير منظومة القيم في العالم الإسلامي، لخلق جيل جديد من المســـلمين يتوافـــق والتوجهات الأمريكيـــة، وهو ما لن يتحقق، فـــي جانب كبير منه، إلا بتغييـــر المناهج التعليمية في العالم الإســـلامي، والتى تـــرى فيها القوى الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، الداعـــم الأول لفكـــر الإرهاب والتطرف المعادي للغرب والمضاد للمصالح الغربية.

وضـع الأمريكيون أنفسـهم فـي مواجهة مـع الإسـلام والمسـلمين؛ سـعيًا للتغلب علـى النموذج الحضاري، عـن طريق «أمركة الإسلام» و«أمركة حياة المسلمين» استنادًا إلى القـوة الأمريكية بمفهومها الشـامل في ظل استمرار التهديد الفكري والديني القائم للإسـلام، والمسـيطر على العقلية الأمريكية.

مع التركيـــز في إطار دعوات تغيير هـــذه المناهج على الدول الفاعلة، أو الرئيسة في منظومة العالم الإسلامي، وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية والمملكة العربية الســـعودية وباكســـتان، وإندونيسيا، وخاصة أمام ما تملكه هذه الدول من تأثير سياســـي وفكري وديني واســـع في محيطاتهـــا الإقليمية، وفي محيطها الإسلامي الواسع.

وفي إطار هذه الاعتبارات تأتي هذه الدراسة حول: «الدور الغربي ومشـــاريع تطوير مناهـــج التعليم في العالم الإسلامي... مصر نموذجًا».

وتتبـــع أهمية هذه الدراســـة من عـــدة اعتبارات، يأتـــي في مقدمتها: تصاعد أهميـــة الأبعاد الثقافية والحضاريـــة والقيمية في منظومة العلاقات الدولية، في العقود الثلاثة الأخيرة، وخاصة بعد انهيار المنظومة الاشـــتراكية، والاســـتهداف الغربي للقيم الإسلامية، وتصويرهـــا على أنها مصـــدر التهديد الأخطر الذي يمكـــن أن يهدد الحضارة الغربيـــة، ومن ناحية ثانية، تصاعد تأثير الخارج في الداخل الإســـلامي، بكل ما يحمله هذا الداخل من قيم وقضايا، ظلت بعيدة لعقود، بـــل لقرون، عن إثارتها والتدخل فيها، كقضايا التعليم والمرأة وحقوق الإنســـان والحريات الدينية، وتجديد الخطاب الديني، وغيرها مـــن القضايا التى فرضت نفسها على مســـرح العلاقات الدولية، لتشكل قضايا جديدة تدور حولها هـــذه العلاقات، صراعًا وتعاونًا، وخاصة في مرحلة ما بعد أحداث الحادي عشـــر من سبتمبر.

وفـــى إطار هـــذه الأهمية، تســـعى الدراســـة إلى تحقيق عدة أهـــداف، من بينها بيان طبيعة وأبعاد الاســـتهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإســـلامي، وموقع التعليم من هذا الاســـتهداف، وآثـــار هذا الاستهداف على مشاريع تطوير المناهـــج التعليمية فـــي العالم الإســـلامي، مـــع التركيز على جمهورية مصر العربية، كحالة دراســـية، وكذلك بيان السياسات والإجراءات التي يمكن من خلالها مواجهة هذا الاستهداف.

وأمام طبيعة الظاهرة محل الدراسة يمكن القول: إن المنهج الوصفي هـــو أحد أكثر مناهج البحث ملائمة، باعتبـــاره خطوة أوليـــة نحو تحقيق الفهـــم الدقيق، والإحاطة بالأبعاد الواقعية لهذه الظاهرة، وذلك **وفقًا للخطوات التالية:**

١- تحديـــد أبعاد الظاهـــرة، والقضايـــا الفرعية التي تتكـــون منها (طبيعة القيم الإســـلامية، طبيعة الاســـتهداف الغربي لهذه القيم مـــن حيث أهدافه، ووسائله، وتأثيراته).

٢- جمع المعلومـــات الدقيقة عن هذه الأبعاد وتلك القضايا لتحقيق الفهم الصحيح لها.

٣- فحص العوامل المختلفة المحيطة بالظاهرة محل الدراسة، ومحاولة الإحاطة بعدد كبير من الأبعاد والعلاقات للانتقال من مستوى الفهم البسيط إلى المستوى المركب، الذي يمكن أن يساعدنا في صياغة عدد من النتائج والتعميمات والتوصيات حول هذه الظاهرة.

وبجانب المنهج الوصفي التحليلى، سيتم الاعتماد على منهج مساعد هو منهج دراسة الحالة (Case-Study Method)، ومن خلاله سيتم التركيز في إطار الظاهرة محل الدراسة على دراسة حالة الاستهداف الغربي للمناهج التعليمية في جمهورية مصر العربية، لبيان أبعاد وتأثيرات هذا الاستهداف، وكيفية مواجهته.

وفي إطار هذه الاعتبارات، تم تقسيم الدراسة على النحو التالي:

المحور الأول: الدور الغربي واستهداف منظومة القيم في العالم الإسلامي.

المحور الثاني: موقع التعليم من الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي.

المحور الثالث: آثار التدخل الغربي في مشاريع تطوير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي.

المحور الرابع: دراسة حالة مشاريع تطوير مناهج التعليم في مصر.

المحور الخامس: سياسات مجابهة الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي.

المحور الأول: الدور الغربي واستهداف منظومة القيم في العالم الإسلامي:

في أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١م كان السؤال الأهم في الولايات المتحدة، هو «لماذا يكرهوننا؟»، وصدر هذا السؤال عن الإدارة الأمريكية، ثم أصبح شعارًا للمثقفين الأمريكيين، وكان المقصود بهذا الخطاب في مرحلته الأولى الشعوب العربية الإسلامية، ثم أصبح هذا المصطلح العنوان الأبرز للعديد من الدراسات والتحليلات والتصريحات الرسمية في وسائل الإعلام الأمريكية، التي تطوعت للإجابة عن هذا السؤال بقولها: «لأنهم حاقدون على ما لدينا من حداثة وحرية»، كما أنهم المسئولون عن تغذية الإرهاب والعنف والتطرف والتسلط.(١)

وللقضاء على هذه النزعات، دعا التيار الحاكم في الإدارة الأمريكية، والمتمثل في «المحافظين الجدد»، إلى شن «حرب أفكار» على العالمين العربي والإسلامي، بهدف تغيير الثقافة السياسية في هذه المنطقة لتصبح أكثر قابلية لتقبل القيم والأفكار الديمقراطية، فالهدف من الحرب اليوم هو هدف سياسي وليس عسكريًا، نفسي وليس ماديًا، فهدف الحرب هو التحكم في الطريقة التي يفكر بها العدو.

وتتمثل حرب الأفكار من وجهة نظرهم في «الصراع بشأن التحديث والعلمنة والتعددية والديمقراطية، والتنمية الاقتصادية الحقيقية، فهناك الملايين من المسلمين الذين يتوقون إلى الحداثة والحرية والازدهار، والذين هم أنفسهم في الواقع في طليعة صفوف الصراع ضد الإرهاب».(٢)

وقد عبّر فروم وبيرل، عن جوهر حرب الأفكار والقيم، بأنها «ليست حرب كلمات؛ لأن كلماتنا لا تقنع العالم الإسلامي، ليس فقط لأن شعوب العالم الإسلامي لا يصدقون ما نقوله، ولكن لأننا لا نتفق معهم حول معنى هذه الكلمات التي تحمل وراءها مفاهيم ومصطلحات قيمية .. لذلك، يجب أن تتخلى الولايات المتحدة عن الفكرة الوهمية التي تقوم على إمكانية الانتصار على الشرق الأوسط الإسلامي عن

(١) نبال خماش، إمبراطورية الأكاذيب.. مصطلحات الخداع الأمريكي بعد ١١ أيلول، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، عرض متاح على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/163786AD-A07B-4-CD6-9DF2B6D89C43DB73. html.

(٢) إبراهيم غرابية، الاستراتيجية الثقافية للولايات المتحدة بعد ١١ سبتمبر، الجزيرة نت، ٢٠٠٢/٩/٩. النص متاح على الرابط:
http://www.aljazeera.net/in-depth/America_Laden/2002/9/9-11-1.htm

طريق الاحتكام إلـــى تعاطفهم مع الحزن والألم الذي عاناه الشـــعب الأمريكي من جراء هجمات سبتمبر، فتفجير برجي التجارة والدفاع يمثل نصرًا في أذهان شـــعوب العالم الإســـلامي، وليس نوعًا من الوحشية والتطرف».[1]

وتتمحور حرب الأفكار أو القيـم، وفق رؤية المحافظين، حول ثلاث ركائز أساسية:

الأولى: تحويل صورة الولايـــات المتحدة من نموذج القوّة العدوانية المناوئة للمســـلمين، إلى صورة القوة المحررة من الطغيان والاســـتبداد، والســـاعية لجلب الأمن والسلم والاستقرار للمنطقة.

الثانية: تشـــجيع المســـلمين على القيام بإصلاح ديني وثقافي عميق، يستأصل جذور الإرهاب الفكرية والعقدية، ويســـتبطن قيم التحديث والليبرالية المتصالحة مع القيم الروحيـــة، وإبـــراز تجربة التحديـــث الأمريكية نموذجًا للاحتذاء فـــي مقابل التجربة الأوروبية التي ارتبط فيها الإصلاح والتحديث بالعلمانية ومحاربة الدين.

الثالثـة: التحالف مع قوى التغيير المحلية من حركات إصلاحية ومجتمع مدني وقوى معارضة، لدفع مســـار التحـــول السياســـي والاجتماعـــي، وحمايته من بطش ومصادرة الأنظمة، باعتبار أن الولايات المتحدة هي وحدها القادرة على ممارسة الضغوط اللازمة على الحكومات العربية، لتحصين وتأمين ديناميكية الإصلاح.

ويرى المحافظون الجدد أن الحرب الآن لا توجد على أرض المعركة، ولا ينتصر فيها طرف بالقتال فقط، ولا يتحقق النصر العسكري ولا يُقاس بقتل أكبر عدد من قوات العدو، وإنما توجد في عقول الشـــعوب، لذلك فهدف الحرب هو الســـيطرة على عقول شعب العدو، ومن ثم الهيمنة على عقول قادة هذه الشعوب».[2]

ويؤكدون أن حل الإشكاليات التي توتر العلاقات بين الولايات المتحدة والإسلاميين؛ يجب أن يتم عن طريق الإصلاح التعليمي والديني لإعـــادة صياغة المفاهيم التـــي تغذي «الإرهاب» بما يتوافق مع مصالحها، وبما يحقّق لها الأمن، وبما يســـتجيب مع عملية الإصلاح السياســـي المفترض، والمتعثر بفضـــل الثقافة الدينية الســـائدة -وخصوصًا «الجهاد»- التـــي تغذّي بذور الكراهية.[3]

وتأكيـــدًا لهذه التوجهـــات؛ تعـــددت التصريحات والتحركات الأمريكية الرسمية، المؤيدة لحرب الأفكار، والداعمة لتوجهاتها وآلياتها. **ومن مظاهر ذلك:**

- أطلقـــت إدارة الرئيـــس الأمريكـــي جورج بوش «برنامج الإصلاح العربي» الذي أعدته وزارة الخارجية الأمريكية ضمن سلسلة البرامج والمشاريع التي تهدف إلى «إعادة تأهيل العالمين العربي والإسلامي، وتربيتهما على القيم الديمقراطية وتحســـين صورة أمريكا لدى عموم العرب والمسلمين».

- أنشـــأت وزارة الدفاع الأمريكية جهـــازًا لتغيير الوعي لدى العرب والمسلمين تحت اسم مكتب «التأثير الاستراتيجي». وتنفيذًا لبرنامج «التأهيل» تمت دعوة ٥٠ ســـيدة عربية في أربعة عشـــر بلـــدًا إلى أمريكا ليخضعـــن لحملـــة تثقيف في «المعهـــد الديمقراطي الوطني الأمريكي» و«المعهد الجمهوري» الذي يُشرف على الحملات الانتخابية للحزب الحاكم، ونظّمت لهن لقاءات مع كبار المسئولين في الإدارة الأمريكية.

- في مارس ٢٠٠٣م، بدأت الولايات المتحدة حملتها على المنطقة العربية باحتلال العراق، وأعلنت أن هذا الاحتلال يأتي كمقدمـــة لتحقيق الأهداف الأمريكية بعيدة المدى، والتي على رأســـها تغيير معالم المنطقة العربية، وفرض القيم الثقافيـــة الأمريكية الجديدة،

(1) David Frum، Richard Perle, «An End to Evil :How to Win the War on Terror», p.128.

(2) Michael Novak, «How to Defeat the USA in Future Wars», Daily Standard, November 22, 2006.

(٣) معتز الخطيب، المشـــروع الأمريكي: تحديث الإسلام، إسلام أون لاين، ٢٠٠٤/٢/٢٣، النص متاح على الرابط:

http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2004/02/article02.shtml

وتغيير منهاج تفكير العقل العربي والإسلامي؛ حيث يتم تغيير المناهج التعليمية، وإشاعة القيم الأمريكية في المنطقة، ومحاولة إزالة العداء النفسي العربي لكل ما هو أمريكي، وتوسيع نطاق الإعلام الأمريكي الموجّه للعرب، في محاولة لتنشئة جيل جديد ليس لديه ما يربطه بثقافته الأصلية.[1]

- في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٣م، قال الرئيس بوش: «إن بلاده تعمل على إضعاف الأيديولوجيات في منطقة الشرق الأوسط التي تصدّر الإرهاب». والخطاب مهم؛ لأنه يأتي من رئيس الدولة، كما أنه ألقى الخطاب في مناسبة دولية مهمة وأمام محفل عالمي وبشكل علني، ولم يُلْقَ في مناسبة محدودة أو محلية.

- في السادس من نوفمبر ٢٠٠٣م، وفي خطابه أمام المعهد الديمقراطي الوطني الأمريكي، شنَّ الرئيس بوش هجومًا حادًا على «الديكتاتوريات» في منطقة الشرق الأوسط، مؤكدًا سعيه لنشر الديمقراطية في العالم عمومًا، وفي منطقة الشرق الأوسط على نحو خاص.

- في ١٤ أغسطس ٢٠٠٤م، أعلنت مساعدة وزير الخارجية الأمريكية للشئون التعليمية والثقافية، أن أحد أبرز أهداف الولايات المتحدة في المنطقة العربية والإسلامية هو تعميق التواصل مع عدد من الفئات والشرائح، يأتي في مقدمتها الشباب، وذلك بهدف إيجاد جيل جديد أقل عداء للسياسات الأمريكية في المنطقة».

وأضافت: أن «استراتيجية الدبلوماسية العامة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر باتت تقوم على أساس التفاعل مع الجماهير الأجنبية لتعزيز تفهّمهم للقيم والسياسات والمبادرات الأمريكية».[2]

- في ديسمبر ٢٠٠٥م، أطلقت وزارة الدفاع الأمريكية، حملة إعلامية لنشر مواد إخبارية مؤيدة للولايات المتحدة في وسائل إعلام خارج البلاد، دون الإشارة إلى الحكومة الأمريكية كمصدر لها. وذلك ضمن عمليات الحرب النفسية التي تهدف لصد أيديولوجية التنظيمات الإرهابية، بالإضافة إلى محاولة إقناع الشعوب الأخرى لتدعم السياسات الأمريكية.[3]

في ديسمبر ٢٠٠٥م، أطلقت وزارة الدفاع الأمريكية، حملة إعلامية لنشر مواد إخبارية مؤيدة للولايات المتحدة في وسائل إعلام خارج البلاد، دون الإشارة إلى الحكومة الأمريكية كمصدر لها. وذلك ضمن عمليات الحرب النفسية التي تهدف لصد أيديولوجية التنظيمات الإرهابية، بالإضافة إلى محاولة إقناع الشعوب الأخرى لتدعم السياسات الأمريكية

- في ١٧ فبراير ٢٠٠٦م أعلن وزير الدفاع الأمريكي «دونالد رامسفيلد»، أن الولايات المتحدة «متأخرة بصورة خطيرة» عن تنظيم القاعدة وأعداء آخرين فيما أسماه «الحرب الدعائية»، ويتعين عليها تحديث وسائلها «العتيقة» في المجال الإلكتروني. زاعمًا أن «التحديث أمر حيوي لكسب قلوب وعقول المسلمين في أنحاء العالم الذين تمطرهم صور سلبية عن الغرب». وأكد رامسفيلد أن من أسلحة حرب كسب العقول اليوم «استخدام رسائل البريد الإلكتروني، وأجهزة الهاتف المحمول، والكاميرات الرقمية، والمدونات على شبكة الإنترنت».[4]

(١) انظر: مأمون الباقر، أمريكا تفتح معركة تغيير الأيديولوجيات، صحيفة البيان الإماراتية، ملحق الملف السياسي، عدد ٦٥٨، الجمعة ٣ ذو القعدة ١٤٢٤هـ - ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٣م.

(٢) كلمة باتريشيا هاريسون أمام لجنة الشئون الدولية في مجلس النواب الأمريكي، يوم ١٩ أغسطس ٢٠٠٤م، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢١/٨/٢٠٠٤م.

(٣) انظر: مات كيلي، البنتاجون يرصد ٣٠٠ مليون دولار لدسّ أخبار في وسائل إعلام أجنبية، صحيفة الشرق الأوسط السعودية، لندن، عدد ٩٨٧٩، الخميس ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م. النص متاح على الرابط التالي:
http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=3&article=338467&issue=9879

(٤) محمد عبد الحليم، البنتاجون تسعى لعسكرة العالم إعلاميًا، ٦/٣/٢٠٠٦. النص متاح على الرابط التالي:
http://www.islamonline.net/Arabic/politics/2006/03/article06.shtml

– في ٢٤ يونيو ٢٠٠٨م، أعلن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الدبلوماسية العامة والشئون العامة «أن الانتصار في الحرب على الإرهاب يعني، على المدى الطويل، الانتصار في معركة الأفكار». فالحرب الباردة كانت «حرب أفكار بنفس القدر الذي كانت فيه قوة عسكرية». ومن المؤسف أننا لم نقم بما فيه الكفاية على هذه الجبهة منذ بروز الإرهاب المتقمص بالإسلام. ولكن الأمر أخذ الآن في التغير. وتمر حرب الأفكار حاليًا، في جميع الوكالات الحكومية والقطاع الخاص، بحقبة نهضة مبكرة. والمتحمسون لها من الحزبين، ولدينا فرصة ترك إرث فعّال للحكومة القادمة.

وأضاف: «إن ما نسعى إليه هو عالم لم يعد يعتبر فيه استخدام العنف لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عسكرية مقبولاً، ولم تعد تنجح فيه محاولات التحويل إلى راديكاليين ثم التجنيد كأعضاء جدد، ويتم فيه شجب وعزل مقترفي التطرف العنيف. إن النجاح العسكري ضروري، ولكنه ليس كافيًا، وذلك لسبب بسيط هو أننا لا نواجه كعدو دولة واحدة أو حتى تحالفًا، وإنما حركة عالمية لا تنتمي إلى أي دولة. وما لم نشن حرب أفكار فعّالة، فإن آخرين سيحلون محل هؤلاء الأعداء كلما قتلناهم».[1]

وفي إطار هذه التصريحات وتلك الإجراءات، تمثلت أهم آليات حرب الأفكار أو القيم الأمريكية، في الترويج للديمقراطية، وحقوق الإنسان، والإصلاحات السياسية من خلال اتهام معظم الأنظمة العربية بالشمولية، وعدم احترام حقوق الإنسان، الأمر الذي يستدعي إشاعة وتطوير الممارسة الديمقراطية والتعددية الحزبية، والعمل على تغيير خريطة المنطقة من خلال الاحتلال العسكري أو شن حرب استباقية ضد بعض الدول في المنطقة بدعوى امتلاكها لأسلحة دمار شامل كما حدث في العراق، ومن ثَم اكتساب أرض جديدة تضاف إلى العراق المحتل كنقطة انطلاق إلى بقية دول المنطقة.

تمثلت أهم آليات حرب الأفكار أو القيم الأمريكية، في الترويج للديمقراطية، وحقوق الإنسان، والإصلاحات السياسية من خلال اتهام معظم الأنظمة العربية بالشمولية، وعدم احترام حقوق الإنسان

وكذلك تقديم الدعم اللا محدود لدولة الكيان الصهيوني والوقوف إلى جانبها ضد الدول العربية كنوع من الضغط لإحداث تغييرات سياسية واقتصادية وثقافية. والترويج لمفهوم الشرق أوسطية الذي تتكامل فيه الجهود العربية والصهيونية من أجل إقامة منطقة مشتركة للتبادل التجاري، وتشجيع ودعم الأقليات في بعض الدول العربية، بهدف إشعال فتنة عرقية وطائفية يمكن أن تؤدي في نهاية المطاف إلى تمزيق هذه الدول، وتحويلها إلى كيانات صغيرة، وتعزيز الغزو الثقافي عبر الفضائيات والإذاعات، والاعتماد على الصورة بدلاً عن الموضوع؛ كخطوة لتغيير مفاهيم شعوب المنطقة، خاصة فئة الشباب، هذا بجانب فرض مناهج مدرسية جديدة في دول المنطقة تعمل على تذويب الهوية الثقافية العربية والإسلامية والتراث التاريخي والديني لشعوبها.[2]

المحور الثاني: موقع التعليم من الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي:

تستند الاستراتيجية الأمريكية الخاصة بتغيير التعليم في المنطقة العربية إلى عدد من الركائز الأساسية، من أهمها: أن الوقت قد حان لتبني استراتيجية جديدة

(١) جيمس جلاسمان، كيف ننتصر في حرب الأفكار؟ نشرة واشنطن العربية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢٤ يونيو ٢٠٠٨م، النص متاح على الرابط التالي:
http://usinfo.state.gov/xarchives/display.html?p=washfilearabic&y=2008&m=June&x=20080624181816ssissirdile0.0457117

(٢) مأمون الباقر، أمريكا تفتح معركة تغيير الأيديولوجيات، صحيفة البيان الإماراتية، ملحق الملف السياسي، عدد ٦٥٨، الجمعة ٣ ذو القعدة ١٤٢٤هـ – ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٣م.

تسعى إلى اكتساب أرضيات ثقافية معرفية جديدة في المنطقة العربية بعيدًا عن ثقافة الحروب فيما سمي «معركة كسب العقول والأفئدة»، ويلعب التعليم دورًا محوريًا في هذه الاستراتيجية؛ حيث يجب الضغط على الدول العربية والإسلامية لإعادة صياغة نُظمها التعليمية بما يتفق مع التوجهات المعرفية الجديدة بالتركيز على إصلاح مناهج التعليم والقضاء على نظم التعليم الدينية المتشددة.(١)

وكذلك طرح قضايا ومفاهيم جديدة على ساحة النظم التعليمية في الدول العربية بما يسمح بفتح مجال للحوار بين الفرق المتعارضة في هذه الدول، والذي قد يؤدي بدوره إلى تسريب بعض الأفكار التغريبية في نُظم التعليم العربية، ووضع أسس نظام تعليمي دولي يسمح باعتبار التعليم شأنًا عالميًا، والتخلي عن اعتباره شأنًا داخليًا. وبحيث لا تتعلل الدول العربية بأن الدول الغربية تسعى إلى فرض قيمها ونظمها عليها(٢). مع التركيز على دور القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني، باعتبارهما أحد أهم أسس إصلاح التعليم مع التركيز على مخاطبة الأفراد، وقطاعات المجتمع المختلفة باعتبارهم النقطة المركزية والمحرك الأساسي لمشروع الإصلاحات المنشودة.(٣)

وقد أخذت التحركات الأمريكية الرسمية نحو تغيير التعليم في الدول العربية، عدة مستويات، يمكن في إطارها التمييز بين:

المستوى الأول: التصريحات الرسمية:

وتتمثل في الانتقادات التي وجّهها عدد من المسئولين الأمريكيين لمناهج التعليم التي تدرس في الدول الإسلامية؛ باعتبارها مناهج تحضّ على العنف والتطرف، وتحرّض طلابها ضد الآخرين، وتشجّع على التعصب، **ومن ذلك:**

أ- تصريح ريتشارد هاس -مدير قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية- حول أن مناهج التعليم في الدول العربية متخلفة، ولا تواكب نظم التعليم الحديثة، وتتسم بضيق الأفق، والاعتماد على الأفكار الأحادية مما يخلق عقليات مغلقة، تسمح بمزيد من التعصب والتطرف، كما أنها تزرع مفاهيم خاطئة عن النساء والأقليات.(٤)

ب- انتقادات ريتشارد باوتشر الناطق باسم وزارة الخارجية الأمريكية، لهذه المناهج: بحجة احتوائها على مفاهيم مثل الجهاد والتكفير ورفض الآخر والتعصب ضد الغرب، وهو ما يخلق عقليات جامدة رافضة للتسامح، ودعا باوتشر الدول العربية، والمملكة العربية السعودية تحديدًا، إلى أن تعمل جاهدة مع الولايات المتحدة لإزالة لغة التعصب الموجودة في الكتب المدرسية.(٥)

ج- تصريحات إلينا رومانسكي -القائمة بأعمال مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط، والمسئولة عن برامج الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية-: والتي أكدت على رغبة الولايات المتحدة في حذف بعض النصوص الدينية من المناهج الدراسية في المنطقة العربية من منطلق «أنه ليس من المفيد لأي مجتمع أن ينشئ أجياله وشبابه على مبادئ التحريض والانحياز وعدم التسامح مع الآخرين، وأنه إذا كان هذا ما يتم تدريسه في العديد من المدارس -إشارة إلى الأفكار الجهادية ورؤية الآخر... إلخ- فليس من الصالح أن ينشأ جيل على هذه الأسس والمبادئ، وإن قراءة بعض النصوص المدرسية في هذه الدول يفيد وجود مثل هذه الاتجاهات الانحيازية، وهذا النوع من التعليم، لم

(١) جهاد البشير، معالم الخطة الأمريكية لإصلاح التعليم الديني في العالم الإسلامي، مجلة الوحدة الإسلامية، بيروت، تجمع العلماء المسلمين في لبنان، السنة الثانية، العدد ١٦، محرم ١٤٢٤هـ. مارس ٢٠٠٣م. النص متاح على الرابط التالي:
http://www.alwahdaalislamyia.net/14th/makalat/maalem.htm

(2)http://www.washingtoninstitute.org/templateC07.php?CID=151

(٣) رياض قهوجي، مايكل كريغ تحرير، الأطر البديلة لأمن الخليج، دبي، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٤، ص ٧٩-٨٠.

(٤) نص خطاب هاس أمام مجلس العلاقات الخارجية، مصدر سابق.

(5) http://www.state.gov/r/pa/dph/2003

يعـــد قادرًا على أن يخرّج أجيالاً قادرة على التعامل مع العالم، ولم يعد هناك وقت للكراهية وعدم التســـامح والتحريـــض، ونحن نحاول أن نعيـــش معًا، وأي منهاج دارسي لا يسير على هذا المنوال يجب تغييره».[١]

د- تصريحات إليزابيث تشيني -نائب مساعد وزارة الخارجيـــة الأمريكية-[٢]: والتي أكـــدت أن الولايات المتحدة ملتزمة بزيـــادة إمكانية الحصول على التعليم الجيد في الشرق الأوسط وجنوب آسيا بهدف القضاء على انجذاب الشـــباب نحو التطـــرف، وصرحت بأن ٥٠٪ من ســـكان المنطقة تقل أعمارهم عن ٢٠ عامًا، وظـــروف الركود الاقتصادي لا توفر للشـــباب فرص عمل مرضية، وفي الوقت نفسه، فإن النظم السياسية المنغلقة والصارمـــة لا تمنح المواطنين في دول عديدة فرصة التعبير عن الرأي بالنسبة لتحديد مصيرهم أو اختيار قادتهم. كما أن هناك نظمًا تعليمية عديدة في جميع أنحاء المنطقة أخفقت في تعليم التسامح، أو في إكســـاب الطلبة فيها المهارات اللازمة للتنافس بنجاح في أسواق العالم».[٣]

هـــ تصريحات وزيـــرة التعليـــم الأمريكية: أكدت مارجريت سبيلنجز وزيرة التعليم الأمريكية أن قضية التعليم في المنطقة العربية تشـــغل حيـــزًا كبيرًا من اهتمام الإدارة الأمريكية، وأن هناك شراكات مختلفة مع العديد من الهيئات والمنظمات الدولية لدعم الملف التعليمـــي الذي تتبنـــاه الإدارة الأمريكية في المنطقة العربية».[٤]

المستوى الثاني: تقارير الكونجرس:

حيث يتم رفـــع تقارير إلى الكونجـــرس الأمريكي تهدف إلى الضغط علـــى حكومات الدول العربية من أجل إعادة النظر في مناهجهـــا التعليمية، وفي هذا الإطار جـــاء التقرير المقدم من ١٩ عضوًا من أعضاء الكونجرس لمناقشـــة خطة تغيير مناهـــج التعليم في مصر والعالـــم العربي، ويرى واضعـــوه أنه لا بد من إعـــادة النظر في مناهج التربيـــة الدينية التي تدرس في هذه الدول بحيث يتم التركيز على الفروع المتعلقة بالطقوس الدينية والعبادات، والعمل على أن يظل دور الدين محصورًا في العلاقة بين الفرد وربه، كما يضع التقرير تصورًا جديدًا لتدريس التربية الدينية لتصبح تحت مســـمى «الثقافة الدينيـــة»، بحيث تقدم صورة إيجابية عن الفضائل الأساسية للديانات الثلاث، وهو ما أسماه واضعو التقرير بإفراغ الدين من مضمونه من منطلق أن «عملية تغيير محتوى القرآن غير واردة».

وأن ترتكـــز اللغة الدينية التي يخاطب بها التلاميذ على العقـــل والمنطق لا على النقـــل والتبعية للكتاب المقدس دون تفكير. وفيما يتعلق بالمواد النظرية الأخرى مثـــل التاريخ واللغة العربية، يتجه واضعو التقرير إلى إعادة كتابتها بحيث تتضمن موضوعات تتسم بالعالمية مثـــل الثورات العلميـــة، وتبعد عن كل ما من شـــأنه غـــرز الانتماء وحب الوطن في نفوس التلاميذ وإبعاد المسلمين عن أي دور حضاري وسياسي أو نضالي من أجل تربية التلاميذ تربية سليمة بعيدة عن لغة العداء والرؤى التاريخية غيـــر الصحيحة لطبيعة العلاقات بين الغرب والعرب المسلمين».[٥]

المستوى الثالث: التقارير السنوية لوزارة الخارجية الأمريكية:

تلجـــأ الولايات المتحـــدة إلى اســـتخدام عدد من التقارير التـــي تصدرهـــا وزارة الخارجية الأمريكية

(١) إلينا رومانسكي، إصلاح الشرق الأوسط جزء من الحرب على الإرهاب، ١٧ يونيه ٢٠٠٤م. النص متاح على الرابط التالي:
http://www.islah200.org/index.php2./arabic/morl/176

(٢) جلسة اســـتماع تحت عنوان «القضاء على الإرهاب من خلال التعليم: تجربة الشـــرق الأدنى وجنوب آسيا، لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي، ١٩ أبريل ٢٠٠٥م.

(٣) إليزابيث تشـــيني، إصلاح التعليم هو مفتاح محاربة الإرهاب، نشـــرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢٠ أبريل ٢٠٠٥م.

(٤) انظر: أشرف شهاب، ومنى مدكور، وزيرة التعليم الأمريكية - واشنطن مهتمـــة بالتعليم في الـــدول العربية.. لكنها لا تتدخـــل في المناهج، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، عدد ٢٠٠٦/٥/٢٨م.

(٥) د. حامد عمار، الحادي عشـــر من سبتمبر٢٠٠١م وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤م، ص ٩٣- ١٠٥.

وعدد من المنظمات غير الحكومية، من أجل توجيه انتقادات للدول التي تنتهك -من وجهة نظرها- الحقوق الاجتماعية، وقد حظي موضوع التعليم، وخاصة التعليم الديني، باهتمام بالغ في هذه التقارير، وتناولت التقارير باستفاضة مناهج التعليم التي تُدرّس في الدول العربية، متهمة إياها بتسويق أفكار عدائية للغرب واليهود، تحض على الكراهية والتعصب، وطالبت هذه التقارير الدول العربية بتغيير المناهج بما يسمح بقبول الآخر، وحذف الجهاد ونشر ثقافة السلام وحقوق الإنسان، وتجاوز مفاهيم العنف ضد المرأة.

وعرضت هذه التقارير عددًا من الأدلة للبرهنة على احتواء مفاهيم التعليم في المنطقة العربية على قيم ومفاهيم التطرف منها:[1]

تلجأ الولايات المتحدة إلى استخدام عدد من التقارير التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية وعدد من المنظمات غير الحكومية، من أجل توجيه انتقادات للدول التي تنتهك -من وجهة نظرها- الحقوق الاجتماعية، وقد حظي موضوع التعليم، وخاصة التعليم الديني، باهتمام بالغ في هذه التقارير

أ- أن الكتب الدينية لا تحتوي إلا على وجهة نظر واحدة فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، ولا يسمح بتدريس عقائد أخرى. كما لا يُسمح بتدريس مناهج تخرج عن التفسير المذهبي الرسمي للدولة.

ب- تحتوي الكتب المدرسية على تمييز واضح ضد الفئات الدينية الأخرى، كما أن هذه المقررات بها لغة تهجمية قائمة على التمييز وتشجع التعصب.

ج- أن بعض الدول العربية تحتوي مناهجها على تعصب واضح ضد السامية، كما تعضد هذه المناهج مفاهيم الجهاد والدعوة إلى نشر الإسلام، وهو ما يخلق عقليات غير متسامحة مع الآخرين.[2]

المحور الثالث: التدخل الغربي ومشاريع تطوير المناهج التعليمية في العالم الإسلامي:

تعددت المبادرات الأمريكية، التي تؤكد على أهمية التحرك نحو «تطوير التعليم»، ومن أبرز الوثائق الرسمية التي تتناول هذه السياسات، وخاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م:

١- مبادرة الشراكة الأمريكية مع دول الشرق الأوسط ديسمبر ٢٠٠٢م:

استندت المبادرة إلى الإحصائيات الواردة في تقرير التنمية البشرية العربية، كمبرر لدعوتها لإصلاح وتطوير التعليم في العالم العربي، فذكرت أن هناك حوالي ٤٠٪ من العرب البالغين ٦٥ مليون شخص أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا العدد، وأنه في إمكان ٦,١٪ فقط من السكان استخدام الإنترنت، وهو رقم أقل مما هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم، بما في ذلك بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وتستند مبادرة الشراكة على عدد من المبادرات الفرعية، هي مبادرة التعليم الأساسي، ومبادرة التعليم فى الإنترنت، ومبادرة تدريس إدارة الأعمال.[3]

٢- مبادرة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يونيو ٢٠٠٤م:

كان التعليم أحد المرتكزات الرئيسة الثلاثة التي نصت عليها المبادرة؛ حيث أكدت على: حق التعليم للجميع، وحرية التعبير، والمساواة بين الرجال والنساء، وأهمية الحصول على تقنيات المعلوماتية العالمية،

(١) راجع نصوص تقارير وزارة الخارجية الأمريكية حول الحرية الدينية الدولية، على الرابط التالي:
http://www.cdhrap.net/text/tt-d/tqareer

(٢) د. أحلام السعدي فرهود، «التوجهات الغربية وإصلاح التعليم في الوطن العربي: تنوع الاستجابات في المنطقة العربية»، دراسة مقدمة إلى المؤتمر السنوي التاسع عشر للبحوث السياسية حول «مشروع= =الشرق الأوسط الكبير: جدال الداخل والخارج ومستقبل المنطقة العربية»، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، ٢٦- ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م.

(٣) راجع نص المبادرة كما نُشر لأول مرة، صحيفة الحياة السعودية، لندن، عدد ١٣ أبريل ٢٠٠٤م.

باعتبارهـــا ذات أهمية حاســـمة للتحديث والرخاء. وأكدت المبادرة على أن وجود عمالة بشرية متعلمة يُعد مفتاحًا للمساهمة في عالم يتســـم بالعولمة. وأعلنت تركيـــز الجهود علـــى خفض الأمية وتوســـيع فرص التعليم، وخاصة بين الفتيات والنساء.[١]

٣- الوثيقة الصادرة عن منتدى المستقبل بالرباط:

أصدر المشـــاركون فـــي أعمال منتدى المســـتقبل، الذي عُقد في الحادي عشـــر من ديسمبر ٢٠٠٤م في العاصمة المغربية الرباط بحضور أكثر من عشـــرين دولة من دول الشـــرق الأوسط وشمال إفريقيا، ودول مجموعة الثماني وممثلين عن منظمات دولية وإقليمية وثيقة أطلقوا عليها «ملخص الرئاســـة». نصت، فيما يتعلق بالتعليم وتطويـــره في دول المنطقة، على تأكيد المشاركين عزمهم على مواصلة الإصلاحات في مجال التربية، وذلك في إطار مجهود شـــامل ومنسق يهدف إلـــى وضع أســـس تكوين مؤهل يشـــجّع على التنوير والحداثة والتسامح والمواطنة الصالحة.[٢]

أما عن الآليات الأمريكية لتطوير التعليم في الدول العربية، فقد تركزت هذه الآليات على تدشين عدد من البرامج المشتركة بين الولايات المتحدة والدول العربية فـــي إطار مبادرة الشـــرق الأوســـط الكبير من أجل تدعيم أســـس الثقافة الغربية في العالم الإسلامي، وجعل الأفكار والمبادئ الغربيـــة متاحة ومتوفرة أمام أكبر عدد من طلاب هذه الدول.[٣]

وتشمل هذه البرامج، كافة الأقطار العربية، وتغطي مراحل التعليم بدءًا من مرحلة ما قبل المدرســـة حتى مرحلة التعليـــم الجامعي، كما أنها لا تركز فقط على تقديم المهارات اللازمة لتطوير العملية التعليمية، وإنما تتعداها إلى نشر قيم وثقافات المجتمعات الغربية في الـــدول العربية، ومـــن ذلك اهتمامهـــا بقضايا النوع وحقوق الإنسان والأقليات.[٤]

كما تهتم بعض هـــذه البرامج، بتدريب العاملين في مجال تصميم المناهج التعليمية من أجل اكتساب خبرة المنهـــج الأمريكي عند إعادة صياغـــة مناهج الدولة، ويسعى البعض الآخر إلى إعادة صياغة العقل الثقافي العربي من خلال استقطاب الفئة المميزة من الطلاب للتعرف على القيم والثقافـــة الأمريكية بحيث تصبح هذه الفئة هي القاطرة لقيادة مجتمعاتهم على أسس ثقافية جديدة تتفق والمعايير الأمريكية.[٥]

وفي أكتوبر ٢٠٠٤م أعلنت مبادرة شـــراكة الشـــرق الأوســـط عن تقديم منح جديدة إضافية للدعم المالي الاقتصادي، كجزء أساسي من سياستها الشاملة لدعم الإصلاحات المحلية الأصلية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتشـــمل هذه المنح في مجال تطوير التعليم: سبع منح شـــراكة جامعية في ســـت دول أو مناطق، ومنحة لبرنامج شـــراكة المدارس، وبرنامج أساســـي لإيجـــاد وتطبيق برنامج تفاعلـــي عن طريق الإنترنت في الأردن لتعليم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، وتعزيز التعليم التمهيدي والابتدائي الشامل.[٦]

ومن بين البرامج التي أعلنـــت المبادرات الأمريكية عن تبنيهـــا: برنامج المعاهد الصيفية، وبرنامج المكتبة

(١) نص مســـودة خطة الإصلاح المقترحة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، عدد ٢٠٠٤/٦/٣م.

(٢) مريم التيجي، الوثيقة الصادرة عن منتدى المســـتقبل بالرباط، إسلام أون لاين. نت ١٢-١٢-٢٠٠٤م.

(3) http://mebi.state.gov/10172.htm

(٤) بيان حقائق، وزارة الخارجية توزع الأموال المرصودة لشـــراكة الشرق الأوســـط على أكثر من ١٠٠ برنامج، نشرة واشـــنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ١٠ مارس ٢٠٠٥م.

(٥) انظـــر: البيت الأبيض، ملاحظات الرئيس بوش أمام طلبة من برنامج شراكات لتحصيل العلم وتبادل الشـــباب والدراسة، مكتب السكرتير الصحفي، ٢٠٠٥/٦/١٣م. نشرة واشنطن العربية، عدد ٢٠٠٥/٦/١٤م. وانظر كذلك: Middle East Partnership Initiative Funds 225 Reform Initiatives، State Department، fact Sheet outlines MEPI Programs، U.S. Department of State، Bureau of Public Affairs، June 28، 2005

(٦) آدم إريلّي، بيان حول «مبادرة شـــراكة الشـــرق الأوسط تخصص نحو ٢٠ مليون دولار لتمويل برامج الإصلاح الإضافية، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م، وزارة خارجيـــة الولايات المتحدة، مكتب المتحدث الرســـمي، نشـــرة واشنطن العربية، عدد ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٤م.

العربيـــة [١]، وبرنامج التعليم المدني العربي[٢]، وبرامج إصـــلاح التعليم باللغـــة الإنجليزية، وبرنامج إنشـــاء مدارس للأطفـــال، وبرنامج الربط بـــين الجامعات الأمريكية وجامعات الشـــرق الأوســـط [٣]، والدورات التدريبية المشتركة، والترجمة، وبرامج التبادل التعليمي مع الدول العربية.[٤]

المحـور الرابـع: دراسـة حالـة مشـاريع تطوير مناهج التعليم في مصر:

أخذ النشـــاط الأمريكـــي في مصر، فـــي المجال التعليمي عددًا من المظاهر:

١- **إنشـاء الجامعات والمـدارس الأمريكية**، والاستعانة بها لتحسين صورة الولايات المتحدة في مصر: وتأتي الجامعـــة الأمريكية في مقدمة هذا النشـــاط؛ حيث تعـــددت خطـــوات الإدارة الأمريكية للاســـتفادة من الجامعة، ومن بين هذه الخطوات:

- إطـــلاق برنامج جديـــد بالتعاون مـــع الجامعة الأمريكيـــة بالقاهرة، ومركز الوليـــد بن طلال لدعم التقارب بـــين العرب وأمريكا، ويقضـــي بتقديم منح للطلاب العرب للدراسة بالجامعات الأمريكية وطلاب من أمريكا للدراسة بالقاهرة.

- قيام هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة بعمل برنامج أمريكـــي جديد يهـــدف إلى منح مزيـــد من الطلاب المصريين والعرب منحًا للدراســـة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، بمعدل اثنين من كل محافظة شـــريطة أن يكونـــوا من خريجي المـــدارس الحكومية، ومن جميع المحافظات المصريـــة، وذلك من أجـــل التواصل مع الشعب المصري.

(١) انظر: إليزابيث تشيني، إصلاح التعليم هو مفتاح محاربة الإرهاب، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية، عدد ٢٠ أبريل ٢٠٠٥م.

(٢) وزارة الخارجية الأمريكية، «مواصفات برنامج الشـــراكة بين الولايات المتحدة والشـــرق الأوسط للسنة المالية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية ، أغسطس ٢٠٠٣م.

(٣) وزارة الخارجية الأمريكية، «مواصفات برنامج الشـــراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط للسنة المالية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣»، نشرة واشنطن العربية، وزارة الخارجية الأمريكية أغسطس ٢٠٠٣م.

(٤) انظر: منى جبالي، أمريكا وبرامج التبادل التعليمي مع الدول العربية: نوايا حســـنة أم مصالح، تقرير واشنطن، عدد ٦٢، ١٠ يونيو ٢٠٠٦م، النص متاح على الرابط التالي:
http://www.taqrir.org/showarticle.cfm?id=379

– توسيع دور الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ووضع خطة لجعلها واحدة من أهم مراكز التفكير والثقافة في العالم العربي من خلال التوسع في مبنى الجامعة، وافتتاح كليات جديدة، واستضافة العديد من رموز الفكر في مصر والعالم لإلقاء محاضرات بها.[١]

٢- المشاركة في إنشاء المراكز العلمية: ومن ذلك المركز الدولي للتعليم عن بُعد بالقاهرة، والذي يُعد نقطة اتصال بالشبكة العالمية للتنمية، والتي أنشأها البنك الدولي للإنشاء والتعمير، بالتعاون بين هيئة المعونة الأمريكية، للربط بين ٥٠ دولة بإفريقيا وأمريكا وأوروبا وآسيا؛ بهدف تبادل الخبرات بين هذه الدول، من خلال ندوات وورش عمل تخاطبية باستخدام الفيديو كونفرانس، وتبادل الخبرات في مختلف قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتوفير البنية التكنولوجية اللازمة لتعريف المشاركين بمكونات تكنولوجيا المعلومات الحديثة، ودعم أنشطة نقل المعرفة من الدول المتقدمة إلى المنطقة العربية.[٢]

٣- تقديم المنح المالية المباشرة: وفي هذا الإطار تم تقديم ١٢ مليون دولار أمريكي لتطوير كليات التربية خلال خطة التنمية للسنوات ٢٠٠٣– ٢٠٠٧م.[٣]

٤- البرامج التدريبية: ومن صورها برنامج إعداد القادة بالشركة المصرية للاتصالات: والذي يتم بالتعاون بين مركز إعداد القادة بالشركة المصرية للاتصالات، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، والمعهد الدولي للتعليم بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم الاحتفال بتخريج أول دفعة من المستفيدين من البرنامج في ٢٧ يونيو ٢٠٠٤م.[٤]

٥- البرامج التعليمية الموجهة: ومن أهم هذه البرامج برنامج عالم سمسم التعليمي، بمساعدة دعم واشتراك من التعليم المصري والإعلام والتليفزيون والمجتمعات الفنية، بالإضافة إلى تعاون وزارتي التعليم والإعلام، وبمنحة مقدمة من هيئة المعونة الأمريكية.

٦- المؤتمرات التعليمية: عقدت هيئة المعونة الأمريكية مؤتمرًا تعليميًّا بمدينة الإسكندرية ٧ و٨ أغسطس ٢٠٠٥م تحت شعار «نحو تجويد التعليم المصري».[٥]

٧- دعم المراكز البحثية وبرامج الدراسات الأمريكية في الجامعات المصرية: من خلال المساهمة في تمويل وحضور نشاطاتها وفعالياتها، كمركز الدراسات الأمريكية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وبرنامج الدراسات الأمريكية بجامعة أسيوط.

٨- دعم وتمويل برامج المحاكاة: التي تعقدها أقسام العلوم السياسية في الجامعات المصرية، للمؤسسات الأمريكية والدولية، كنموذج الكونجرس ونموذج الجامعة العربية، ونموذج الأمم المتحدة.

٩- تجديد اتفاق التعاون العملي والتكنولوجي: وقد تم التوقيع على تجديد اتفاق التعاون العلمي والتكنولوجي بين البلدين لمدة خمس سنوات أخرى وقع للمرة الأولى عام ١٩٩٥م، وتم التوقيع على تجديد الاتفاق بمكتبة الإسكندرية ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٥م. وتتمثل الأهداف الرئيسة لاتفاق التعاون العلمي، وفق ما تم الإعلان عنه، في تعزيز القدرات العلمية وتوسيع نطاق العلاقات بين العلماء في كل من الولايات المتحدة ومصر، وتشجيع التعاون العلمي والتكنولوجي بينهما، ويتلقى مجلس إدارة الاتفاقية الدعم المالي من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية التي تشرف على تنفيذ الاتفاق، ويدعم الاتفاق عددًا من البرامج، **منها**:

أ - برنامج المنح: ويتم خلاله اختيار الأبحاث المشتركة ومراجعتها، وتوجيه الدعوة للقطاعين العام والخاص

(١) جمال شاهين، أمريكا تستعين بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لتحسين صورتها في مصر، الشرق الأوسط، لندن، ١٥/١٠/٢٠٠٤م.
(٢) صحيفة الأخبار المصرية، عدد ١٥٩٨١، ١٥/٧/٢٠٠٣م.
(٣) موقع جامعة الزقازيق،
http://www.zu.edu.eg/upmu/HEEPF.htm
(4) http://www.mcit.gov.eg/ar/display_press.asp?id=903

(٥) صحيفة آفاق عربية، القاهرة، عدد ٧٢١، ١١ أغسطس ٢٠٠٥م.

في الدولتين للمشاركة فيها، وعقد مجموعة من ورش العمل سنويًا.

ب- برنامج تبادل العلماء الجدد يقوم خلاله العلماء في كلا البلدين الذين استكملوا دراسة الدكتوراه خلال السنوات العشر السابقة بإجراء أبحاث في إحدى المؤسسات العلمية بالبلد الآخر، وخاصة في مجالات التكنولوجيا الحيوية، والمعايير والمواصفات القياسية، وعمليات التصنيع غير الضارة بالبيئة، تكنولوجيا المعلومات والطاقة النظيفة. وخلال السنوات العشر الماضية تم وضع ٣٠٠ برنامج للشراكة في إطار اتفاقية التعاون العلمي والتكنولوجي عبر برنامج المنح، لتربط بين ٦٠٠ عالم مصري وأمريكي من الجامعات والمختبرات الحكومية وشركات القطاع الخاص.

ج - توسيع نطاق الشراكة في مجال البحث العلمي، وخاصة في مجالات التكنولوجيا الحيوية، وهندسة البيئة، وعوامل الخطر الجينية والبيئية والفيروسية.

د- تمويل برنامج زيارة لأكثر من ٦٠ عالمًا من العلماء الجدد لتحديث معلوماتهم.

هـ- تنظيم أكثر من ٤٠ ورشة عمل، حول أساليب التنبؤ بالكوارث العالمية الناجمة عن الأحوال الجوية، والبنية الأساسية للمعلومات الرقمية بالشرق الأوسط، وتطورات البحث العلمي والتكنولوجي، والجسيمات المتناهية الصغر.[١]

١٠- التعليم الديني: يتمثل التعليم الديني في مصر، بالدرجة الأولى في التعليم الأزهري، ويقدر عدد طلاب المؤسسات التعليمية الأزهرية بأكثر من ٢,٥ مليون طالب من جنسيات عدة يدرسون في أكثر من ستة آلاف معهد، إضافة إلى نحو ٣٠٠ ألف طالب يدرسون تخصصات مختلفة، ليست كلها دينية، في ٣١ كلية ٢٠ للبنين و١١ للبنات، ويلتزم طلاب الكليات غير الدينية دراسة نسبة معينة من المقررات الشرعية.

وقد أشارت لجنة الحريات الدينية التابعة للكونجرس الأمريكي التي زارت مصر عام ٢٠٠٤ في تقريرها إلى التعليم الأزهري باعتباره «أداة لتكريس مبدأ الانفصال بين المسلمين والمسيحيين، وتفتيت المجتمع المصري»، وطالبت بمراجعة مقرراته الدراسية وحذف «ما يثير الغالبية الدينية على الأقليات»، وإضافة مقرر «الحريات الدينية» الذي يقرّب بين الطوائف، فنمط التفكير الإسلامي النقلي لم يعد صالحًا لمواجهة تحديات العصر، مما يتوجب معه تطويرًا مدروسًا لهذه المناهج.[٢]

آتت الضغوط الأمريكية على الأزهر أُكُلها، لتنفيذ عدد من التعديلات في المناهج الدراسية منها: حذف مادة الفقه المذهبي من المرحلة الإعدادية، واستبدالها بمقالات صحفية تحت عنوان: الفقه الميسر، وإلغاء أبواب الجهاد من المرحلة الإعدادية، وإضافة مادة الحديث والتفسير في الصف الثالث الإعدادي إلى مادة المطالعة والنصوص.

ويرى المحافظون الجدد أن هذه النوعية من التعليم قد أفرزت العديد من الجماعات الأصولية المتشددة مثل جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس، والجماعات المتشددة الأخرى.[٣]

وآتت الضغوط الأمريكية على الأزهر أُكُلها، لتنفيذ عدد من التعديلات في المناهج الدراسية منها: حذف مادة الفقه المذهبي من المرحلة الإعدادية، واستبدالها بمقالات صحفية تحت عنوان: الفقه الميسر، وإلغاء أبواب الجهاد من المرحلة الإعدادية، وإضافة مادة الحديث والتفسير في الصف الثالث الإعدادي إلى

(١) شيريل بلليرين، تجديد اتفاق التعاون العلمي والتكنولوجي بين الولايات المتحدة ومصر، الاتفاق موقع منذ عام ١٩٩٥م، ويشمل الأبحاث ونقل التكنولوجيا بين البلدين، نشرة واشنطن العربية، عدد ٣٠ تشرين الثاني- نوفمبر، ٢٠٠٥م.

(٢) محمد محمود، التعليم الأزهري بعد المطالبة الأمريكية بتعديله يخوض معركة الإصلاح بقليل من التطوير وكثير من التجاهل، الحياة، ٢٠٠٤/١٠/٨م.

(3) Joshua Muravchik،»Jihad or Ballot –Box ?»،wall street journal،December13، 2005، www.aei.org.

مادة المطالعة والنصوص، وحذف ١٢ جزءًا من القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية، مع إلغاء السنة الرابعة بالثانوية الأزهرية، وإضافة اللغة الفرنسية لمنهج الصف الثالث الثانوي مع اللغة الإنجليزية، دون تحديد ساعات دراسية لها، بما يعني أنها وُضعت لمزاحمة المواد الشرعية التي تم ابتسارها بالفعل، واختزال مادة التفسير للصف الأول الثانوي، وحذف «تفسير النسفي» للقرآن الكريم، وهو الذي يعتمد المنهج العلمي في تفسير القرآن بالمرحلة الثانوية.[1]

المحور الخامس: سياسات مجابهة الاستهداف الغربي لمنظومة القيم في العالم الإسلامي:

من تحليل الأفكار التي تضمنتها الدعوات الغربية لتطوير مناهج التعليم العربية، يمكن الوقوف على عدد من الملاحظات:

- إن هناك اتجاهًا داخل الدول الغربية يهدف إلى إعادة صياغة الإسلام بما يسمح بحذف كثير من الأحكام الإسلامية، مثل أحكام الجهاد والقتال، والدعوة إلى نشر دين الإسلام، والموقف من الآخر، كالمسلم من ذوي المذاهب الآخر، وغير المسلم، وإن هذا الاتجاه يصل إلى حد المطالبة الصريحة بتغيير مفاهيم الدين وتبني مفاهيم جديدة لا تستفز مشاعر الغرب.

- إن الهدف الأساسي للسياسة الغربية من تغيير مناهج التعليم يرتبط بمحاولة إحلال مجموعة من القيم الغربية مثل قيم التسامح، حقوق المرأة، تقدير حرية الأديان وغيرهما، محل القيم الإسلامية، من منطلق أن هذه القيم كفيلة بحماية العالم من مظاهر التطرف التي تفرضها القيم الإسلامية.

- إن التوجهات الغربية نحو تغيير مناهج التعليم تركز بالأساس على المناهج الدينية دون النظر إلى المناهج الخاصة بالعلوم الأخرى، وهو ما يتضح في محاولات الدول الغربية للضغط على الدول العربية لإعادة النظر في قيم ومفاهيم متضمنة في المناهج النظرية دون العملية.

- إن الدول الغربية ماضية قُدمًا في محاولتها لتغيير مناهج التعليم في المنطقة العربية، بغَضّ النظر عن موافقة أو رفض الدول العربية لهذا التوجه، وتستخدم في ذلك كافة ما لديها من وسائل أو إمكانيات.

- إن الدول التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الآن، كأفغانستان والعراق، تشكّل المرحلة الأولى في محاولات التغيير من منطلق أن هذه الدول ماضية في إعادة صياغة مناهجها بما يتفق مع التوجهات العالمية الجديدة القائمة على أساس نشر ثقافة السلام والتسامح وقيم الديمقراطية والحرية، بحيث تشكّل هذه الدول نقطة البداية للتعامل مع القيم والتقاليد العربية الجامدة، وتكون قاعدة انطلاق لتحرير باقي الدول العربية.

إن هناك اتجاهًا داخل الدول الغربية يهدف إلى إعادة صياغة الإسلام بما يسمح بحذف كثير من الأحكام الإسلامية، مثل أحكام الجهاد والقتال، والدعوة إلى نشر دين الإسلام، والموقف من الآخر، كالمسلم من ذوي المذاهب الآخر، وغير المسلم، وإن هذا الاتجاه يصل إلى حد المطالبة الصريحة بتغيير مفاهيم الدين وتبني مفاهيم جديدة لا تستفز مشاعر الغرب

- إن التوجهات الغربية نحو تعديل مناهج التعليم في المنطقة العربية، وإن كانت تمثل جزءًا من منظومة متكاملة هدفها إصلاح التعليم ككل، بما يؤدي إلى إحداث نقلة نوعية في هذا الجزء من العالم الذي لم يصبه بعدُ الدور في التنمية، إلا أن التوجه الأكبر لهذه المنظومة يتعلق بتشويه المفاهيم التربوية والدينية والثقافية التي تزخر بها ثقافتنا الإسلامية، وإعادة صياغة القيم والمفاهيم الدينية والثقافية، بما يؤدي إلى إنتاج أجيال أكثر قدرة على

(١) انظر: المخطط الأمريكي لتغيير مناهج التعليم في العالم الإسلامي، النص متاح على الرابط التالي:
http://www.islamicnews.net/Document/ShowDoc05.asp?DocID=62489&TypeID=5&TabIndex=3

التواؤم مع متطلبات الحضارة العربية، وأكثر اغترابًا عن قيمهم الدينية الإسلامية.

إلا أنـــه فـــي المقابل، ورغم هذه الاعتبارات يمكن القول: إنه رغم كل الاســـتلاب الفكـــري والضياع الثقافي، والتفكك السياسي، والتخلف الاجتماعي، والتهميش الحضاري الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية، فما يزال هناك من يخطط لإبادتها تراثًا وحضارة وفكرًا وعقيدة وثقافة، والســـبب يكمن فى خوفهم من مصدر قوة هذه الأمة وعزتها، ألا وهو الإسلام، الإسلام الحضاري الذي لا ينفي الأديان الأخرى، بل يحتويها كجزء من منظومة الإسلام نفسه.

وهنـــا تأتي أهمية التأكيد على أن مواجهة التحديات التي تفرضها دعوات تغيير، أو تطوير، التعليم في الدول العربية والإســـلامية، تفرض أهمية اســـتنهاض الأمة نحو التجديد الذاتي النابع من القيم والمفاهيم والثوابت الدينيـــة والحضارية والثقافية، والتأكيد على نظم التعليم في الوطن العربي لن تتخطى أزماتها إلا باعتماد رؤية ذاتيـــة تتخطى المصالح الخارجية مـــن ناحية، وتتجاوز المصالح القطرية من ناحيـــة أخرى، وتتبنى رؤية عربية مشتركة لإصلاح التعليم، بما يتفق والقيم الأصيلة التي تقوم عليها الحضارتين العربية والإسلامية.

معلومات إضافية

مخاطر المدارس الأجنبية:

في تقرير لروبرت ساتلوف مدير قسم السياسة والتخطيط في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى قال: «المدارس الأمريكية في البلاد العربية والإسلامية ليست مجرد صروح تعليمية رفيعة المستوى، بل هي سلاحنا السري في معركة أمريكا الأيديولوجية لأمركة المجتمعات العربية والإسلامية».

وتخضع المدارس الأمريكية المنتشرة في ١٣٢ دولة، مباشرة لإشراف وزارة الخارجية الأمريكية من خلال مكتب خاص يسمى مكتب المدارس الأمريكية عبر البحار!

ويشير ساتلوف إلى اعتماد المدارس الأمريكية على مبدأ الاختلاط بين الذكور والإناث في جميع المراحل الدراسية، وعلى الدور الذي تقوم به في فرض نمط الحياة الأمريكية على طلابها من العرب والمسلمين من خلال الترويج للثقافة الأمريكية وأسلوب الحياة الأمريكية بين طلابها وطالباتها العرب والمسلمين.

ويعدد الخبراء المخاطر الكبيرة للتعليم الأجنبي في البلدان العربية والإسلامية، فيقول د. إبراهيم الريس أستاذ مناهج التربية: إن خطورة المناهج الأجنبية التي تدرس في المدارس الأجنبية في البلدان العربية أنها تحمل لنا وسائل وأدوات ومعاني مسمومة ومضامين ذات أبعاد أيديولوجية وسياسية تخالف تقاليدنا ومعلوماتنا ومعارفنا.

هذه المناهج الأجنبية تعمل على تكريس وترسيخ معنى ذهني خطير في عقول الأجيال وهو ضرورة فصل الدين عن الدولة بمعانٍ مختلفة ومتداخلة وخفيةٍ، والاتجاه بفكر هذه الأجيال إلى نهج الدولة العلمانية، وغالبية هذه المدارس والجامعات الأجنبية لا تخضع مناهجها للمراقبة من قبل وزارات التعليم في الدول العربية، وقد نتج عن ذلك حالات غريبة لتدريس كتب ومواد تخالف تاريخ وتقاليد وعادات المجتمعات العربية.

يذهب د. محمدي سلامة أستاذ التاريخ إلى أن المدارس الغربية في البلاد العربية والإسلامية مأوى للتبشير والاستعمار معًا، وهي تجعل من نفسها داعية لدين غير دين البلاد، كما تجعل من نفسها حكومة داخل حكومة البلاد، وفي ذلك إهدار للاستقلال، ومدعاة للفساد.

يؤكد الأستاذ الدكتور يونس الحملاوي ـ الأستاذ في جامعة الأزهر والأمين العام للجمعية المصرية لتعريب العلوم ـ: أن التعليمَ باللغات الأجنبية للأطفال دون سن الثانية عشرة يؤدي إلى حدوث التشويش اللغوي لديهم فتختلف عليهم الحروف العربية والحروف الأجنبية، وتوجد دراسات أخرى حول قضية الازدواج اللغوي، وخطورة هذا الازدواج على هوية الطفل وانتمائه الحضاري؛ لأن فرنجة اللسان قد يستتبعها فرنجة العقل والسلوك، وهنا مكمن الخطورة.

المدارس الأجنبية في مصر:

تشير التقديرات الآن إلى أن في مصر ٥٧ مدرسة أجنبية: منها ٣٢ مدرسة أمريكية، و١١ مدرسة إنجليزية، و٩ مدارس فرنسية و٣ مدارس كندية ومدرستان ألمانيتان.

تقـــدم هذه المدارس ـ كنوع من الإغراء للالتحاق بها ـ قائمة بأكثـــر من ٥٠ جامعة عالمية يمكن أن يلتحق بها الطالب بجانب الجامعة الأمريكية في مصر، وفى المقابل لا توجد جامعة مصرية واحدة في قائمة جامعات هذه السلسلة الأجنبية من الجامعات التي تفتح أبوابها لخريجي المدارس الأجنبية.

المدارس الأجنبية في مصر عبارة عن مجموعة من الجزر التي لا يعرف أحد عنها شـــيئًا، حتى وزارة التربية والتعليم ـ وهى المسئولة عن التعليم في مصر ـ لا تستطيع التدخل في شئون هذه المدارس من حيث المصروفات أو المناهج أو تدريس اللغات، وحتى الجوانب السلوكية التي تروّج لها هذه المدارس، كما أن هذه المدارس لا تلتزم بتدريس اللغة العربية وفى أحيان كثيرة لا تقوم بتدريسها على الإطلاق.

تضع المدارس الأجنبية في مصر مادة التاريخ في آخر القائمة، وتقوم بتدريس تاريخ الدولة صاحبة المدرسة، حيـــث يحتل التاريخ الأمريكي الدرجة الأولى في مناهج ٣٢ مدرســـة أمريكية تنتشـــر في مصر ابتداء بحرب الاستقلال وانتهاء بالحروب الأهلية، والتاريخ الإنجليزي كذلك له الصدارة في المدارس الإنجليزية، حتى أصبح روزفلت وتشرشـــل هما الرمز أمام التلاميذ المصريين، وفى المدارس الفرنسية أو الألمانية أو الكندية نجد نفس المناهج التي تغوص في تاريخ هذه الدول وتحتفي برموزها دون ذكر لرمز مصري أو عربي أو إسلامي باستثناء تاريخ الفراعنة الذي تدرسه كل مناهج الدراسة في العالم.

هيئة التدريس من المدرســـين والمشرفين والإداريين في هذه المدارس من الأجانب، ورغم أن هناك قرارًا وزاريًا مصريًا يقضي بألا تزيد نســـبة الأجانب في المدرسة على ١٠٪ من أعضاء هيئة التدريس إلا أن عددًا كبيرًا من هذه المدارس لا يستعين إلا بالمدرسين الأجانب، ويرفض المدرسين المصريين تمامًا.

وكشـفت دراسـة أجرتها الباحثة «بثينة عبد الرءوف» بمعهد البحوث التربوية بجامعة القاهرة عن «مخاطر التعليم الأجنبي في مصر على هويتنا الثقافية» عن النتائج التالية:

- المدارس الأمريكية في مصر لها نشاط تنصيري، وتهدف لنشر المذهب البروتستانتي.

- تعمل تلك المدارس بشـــكل منفصل تمامًا عن المجتمـــع المصري، ولا تقع تحت طائلة أي قانون مصري، كما أن مرحلة التعليم الأساســـي من الصف الأول حضانة حتى الثالث الإعدادي لا تخضع لأي إشـــراف وزاري أو إداري، وإن كان هناك إشراف على المرحلة الثانوية فهو إشراف صوري، وإن هذه المدارس تخضع لإشراف هيئات أمريكية تطبق عليها مقاييسها وأهدافها.

- تقييم كتب تلك المدارس في مصر من قبل إدارة المعادلات المصرية هو تقييم ذاتي؛ حيث لا توجد معايير أو مقاييـــس مكتوبة يمكن الرجوع إليها، بل يعتمد في المقام الأول على «ثقافة وضمير الخبير المراجع للكتب»، وأنه لا تتم أي متابعة من قبل وزارة التربية والتعليم لمدى التزام هذه المدارس بما تم حذفه أو ما طلب من تغيير.

وبتحليل محتوى بعض مناهج المدارس الأمريكية في مصر كشـــفت الدراسة أن هذه المناهج تعمل على تحقير العـــرب، وتزعم أن الإبـــل أفضل منهم كما جاء في إحدى القصص المقررة على تلاميذ المرحلة الابتدائية، والتي توضح تفوق الإبل على العرب، وكيف أن قيادة الإبل للعرب أفضل من قيادة العرب لأنفسهم، وأن العرب إذا ساروا خلف الإبل فسيصلون إلى نتائج أفضل من التي يُخططون لها.

كما كشـــفت الدراسة أن كتاب مادة الاجتماع الذي يدرس على طلاب المرحلة الثانوية يتعرض لقضية الحرية الشخصية والجنسية، واحترام طبيعة كل شخصية ورغبتها في اختياراتها، وفي ضوء ذلك يعرض الكتاب بعض النماذج الأمريكية التي اســـتطاعت أن تحصل على ما وصفه الكتاب التربوي الأمريكي بأنه حقوقها في المجتمع الأمريكـــي، ومن هذه النماذج (جمعية أنصار نادي العراة)؛ حيـــث يتناول الكتاب فكر جمعية أنصار العراة هذه وفلســـفتهم، ويعرض صورة لهم، كما يتناول الكتاب الشواذ جنسيًا؛ حيث يعرض صور وقصة أول زوجين شاذين من الرجال، وهذه المادة وما تحويه من شـــذوذ جنســـي يتم تدريســـها في ظل مناخ اختلاطي مراهق ومن قبل مدرسين ومدرسات أجانب قد يكونوا مؤمنين ومبشرين بالمثلية الجنسية».

المصادر:

- د. ليلى بيومي، المدارس الأجنبية في بلادنا.. غزو آن له أن ينتهي، موقع المسلم، بتاريخ ١٤٢٧/٨/٢٧ هـ: انظر الرابط:
http://www.almoslim.com/node/83514

- فاروق جويدة، ماذا بعد طوفان المدارس الأجنبية فى مصر؟، جريدة الشروق، ٨ أغسطس ٢٠١٠م، انظر الرابط:
http://www.shorouknews.com/Columns/Column.aspx?id=279754

- دراسة علمية تؤكد: المدارس الأمريكية فى مصر تدعو إلى التبشير وطمس الهوية الثقافية ومحو التاريخ المصري، جريدة شباب مصر، العدد ١٥٥، ٢٨ أبريل ٢٠٠٩م على الرابط:
http://www.shbabmisr.net/XPage.asp?browser=View&EgyxpID=13134&xp1=%C7%E1%D1%C7%C8%DA%C9&xp2=155&xp3=%C7%E1%CB%E1%C7%CB%C7%C1&xp4=2&xp5=%CC%E3%C7%CF%EC%20%C7%E6%E1&xp6=28&xp7=%C7%C8%D1%ED%E1&xp8=20090428

- الهيثم زعفان، المثلية الجنسية في مناهج المدارس الأجنبية، ٢٧ أبريل ٢٠٠٩م، أنظر الرابط:
http://www.myportail.com/actualites-news-web-2-0.php?id=2484